الجزء الأول

الدراسات الإمبيريقية

أولا : اتجاهات الخصوبة فى الريف والحضر
FERTILITY TRENDS IN RURAL AND URBAN AREAS

تتحدد أهداف هذه الدراسة فى محاولة القائم بها التحقق من الفرض — القائل بأن هناك ارتباطاً بين مجموعة من العوامل الاجتماعية — الاقتصادية ومعدلات الخصوبة أوالسلوك الإنجابى فى كل من الريف والحضر فى محافظة المنيا . ويمكننا توضيح موضوع الدراسة فى أنها تحاول التعرف على تأثير كل من التريف والتحضر على اتجاهات الخصوبة أو معدلات الإنجاب .

وفيما يتعلق بالعوامـــل الاجتماعية — الاقتصادية المؤثرة على السلوك الإنجابى فى كل من الريف والحضر ، **فقد حددها الباحث كما يلى :**

- الدخل والتعليم والمهنة .
- القيم المرتبطة بتقبل التغير ، والمشاركة الاجتماعية ، والنظرة إلى الوقت والإنجاب كقيمة .
- مدى إقتناء الوسائل التكنولوجية الحديثة .
- سيادة أو عدم سيادة الضوابط الرسمية .
- الهجرة الداخلية والحرب والتشريعات ، والأيديولوجية الخاصة بالمجتمع .

قدم هذه الدراسة الباحث محمد زكريا عبد المقصود عيد رمضان للحصول على درجة الدكتوراه فى علم الاجتماع إلى قسم الاجتماع بكلية الآداب/ جامعة عين شمس فى يوليو ١٩٧٨ ، وقد أشرف عليها الأستاذ الدكتور حسن الساعاتى أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب / جامعة عين شمس ، وقد اشترك فى مناقشتها الأستاذ الدكتور عبد المنعم شوقى عميد كلية الآداب ورئيس قسم الاجتماع بجامعة المنيا ، والأستاذ الدكتور عبد الباسط محمد حسن عميد كلية البنات الإسلامية ورئيس شعبة الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر .

ويمكننا أن نتعرف على أهداف هذه الدراسة من خلال طرح مجموعة من التساؤلات وذلك على النحو التالى :

- ما هو تأثير السكنى فى الريف أو فى الحضر على معدلات الإنجاب أو إتجاهات الخصوبة ؟
- هل الذين يسكنون الريف أكثر إنجاب من الذين يسكنون الحضر أم العكس ؟
- ما هى العوامل الاجتماعية - الاقتصادية المؤثرة على معدلات الخصوبة وإتجاهاتها فى كل من الريف والحضر ؟
- هل يمكن الكشف عن إتجاهات أفراد المجتمع إزاء تنظيم الأسرة باعتبار أنها - وأعنى هذه الاتجاهات - أحد المحددات أو المظاهر التى تكشف لنا عن اتجاهات الخصوبة فى كل من الريف والحضر ؟

وبناء على ذلك فقد تحددت أهداف هذه الدراسة التى بين أيدينا ، فى ثلاثة محاور أساسية ، نعرضها على النحو التالى :

١ - التعرف على تأثير التريف والتحضر على معدلات الإنجاب الفعلى (الخصوبة) واتجاهاتها المختلفة سواء كانت مرتفعة أو منخفضة .

٢ - الكشف عن العوامل الاجتماعية - الاقتصادية المؤثرة على معدلات الخصوبة واتجاهاتها فى كل من الريف والحضر .

٣ - تحليل اتجاهات أفراد المجتمع الريفى والحضرى إزاء قضايا تنظيم الأسرة باعتبار أن هذه الاتجاهات تكشف عن مسارات الخصوبة كلا المجتمعين .

وحتى تكتمل الصورة فإن الباحث قد اختار محافظة المنيا كمجال جغرافى وبشرى لكى يستطيع تحقيق أهداف دراسة ، وبالتالى فقد اختار بندر أو مدينة المنيا كمنطقة ممثلة للنمط الحضرى واختار من بندر المنيا مناطق

الأخصاص والصباحية ، وعشش محوظ ، وأرض سلطان ، أما المجتمع الريفى فقد تحدد فى منطقة قلوصنا وقد اختار فى هذه المنطقة ٥ قرى هى قلوصنا ، والتوفيقية ، ودفش ، والجزائر ، والخمايشه .

ونتوقف ، بعد أن أوضحنا الدراسة وأهدافها قليلا ، لنلقى نظرة تحليلية نقدية على عنوان موضوع البحث لنجد أنه بهذه الصياغة فقد وقع فى مجموعة من الأخطاء المنهجية ، **وأولا : أين سيجرى الباحث دراسته عن اتجاهات الخصوبة ؟ هل سيجرى هذه الدراسة فى انجلترا ، أو فى أمريكا ، أو فى الفلبين ، أو فى مصر ؟**

إذن فالمفروض من الناحية المنهجية أن يوضح الباحث ويحدد فى عنوان دراسته المجال الجغرافى الذى سوف يجرى فيه دراسته . **ومن ناحية ثانية نتساءل ما أهمية العنوان الفرعى الذى وضعه للدراسة والذى تحدد فى « بحث اجتماعى مقارن » ؟** من الطبيعى أن الباحث هنا سيتبع الاتجاه المقارن حيث أنه سيجرى بحثه فى كل من الريف والحضر . بالإضافة إلى أن هذه الدراسة مقدمة إلى قسم الاجتماع وليس إلى قسم الديموجرافيا ، ومن هنا فإن هذا العنوان الفرعى لا يضيف إلى الدراسة أى شىء جديد ، ومن هنا فاننا نقترح أن يكون عنوان الدراسة إما : اتجاهات الخصوبة فى الريف والحضر بمحافظة المينا ، أو : العوامـــل الاجتماعية – الاقتصادية المؤثرة على اتجاهات الخصوبة فى ريف وحضر محافظة المنا .

أما فيما يتعلق بأهداف الدراسة كما حددها الباحث فهى أهداف واضحة ومحددة ، فى ضوء أى من العنوانين المقترحين لهذه الدراسة .

ومن أجل أن يتمكن الباحث من تحقيق أهداف دراسته فقد صاغ ثلاثة فروض ، وذلك على النحو التالى :

الفرض الأول : يفترض الباحث « وجود علاقة إيجابية وإرتباطا قويا بين دخل الأسرة وبين اتجاهات الخصوبة فيها » .

للفرض الثانى : يفترض الباحث أن هناك ارتباطاً إيجابياً بين القيم التى يتمسك بها أفراد كل من المجتمع الحضرى والريفى وبين معدلات الخصوبة .

الفرض الثالث : يفترض الباحث « أن هناك ارتباطاً إيجابياً بين التحضر وانخفاض معدلات الخصوبة فى المجتمع » .

واضح جداً من هذه الفروض أنها تعكس إلى حد ما مجموعة الأهداف التى حددها الباحث منذ البداية ، **ولكن . . لماذا قلنا إلى حد ما ؟**

إذا تناولنا الفرض الأول نجد أنه بالرغم من أنه محدد وواضح ومختصر وفيه **متغيرين أساسيين الأول هو الدخل . والثانى هو اتجاهات الخصوبة ،** ولكن شكل العلاقة أو الارتباط لا ينطبق على واقع النتائج التى خرج بها الباحث . حيث وجدنا أن الباحث قد انتهى إلى أن هناك علاقة عكسية وليست إيجابية أو قوية بين الدخل والخصوبة ، بمعنى أنه كلما زاد الدخل قلت معدلات أو اتجاهات الخصوبة ، وكلما انخفض الدخل زادت معدلات الخصوبة وبخاصة إذا علمنا أن الباحث قد أشار وأكد أن النتائج التى خرج بها تؤكد وتحسم الفرض الأول .

وفيما يتعلق بالفرض الثانى فنظرتنا إليه تتماثل تماماً مع نظرتنا إلى الفرض الأول حيث أشار الباحث إلى أن هناك ارتباطاً إيجابياً بين القيم ومعدلات الخصوبة . بمعنى أنه كلما ازداد إيمان الناس بقيمة الوقت ازدادت معدلات إنجابهم وأعتقد أن هذا عكس ما يريد أن يشير إليه أو يؤكده . أن من يطلع على نتائج دراسته يجد أنه يريد أن يشير إلى أن هناك علاقة عكسية وليست طردية بين القيم واتجاهات الخصوبة وهنا أيضاً لابد أن نشير أو نتساءل **أى قيم هذه ؟** إذن فكان لابد أن يحدد الباحث فى فرضه القيم التى يحاول إيجاد الارتباط العكسى لا الطردى بينها وبين اتجاهات الخصوبة .

ونأتى أخيراً الى الفرض الثالث والأخير من فروض الدراسة فنجد أن الباحث قد وقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه فى الفرضين الأول والثانى حيث أشار فى فرضه الأخير إلى وجود علاقة إيجابية بين التحضر وإنخفاض معدلات الخصوبة، ولكننا نرى أن هذا الفرض يصبح صادقا إذا كانت هناك علاقة عكسية بين التحضر (+) ومعدلات الخصوبة (—) .

تلك هى نظرتنا النقدية والمنهجية إلى فروض الدراسة خالية من التعصب و لانحياز بل أن نظرتنا إليها هى نظرة موضوعية ، ووقفة تقويمية لكل من موضوع البحث ، وأهداف الدراسة وفروضها .

وفيما يتعلق بمناهج الدراسة ، ولو أننا تنفى أن يكون هناك تعدد فى المناهج وتعدد فى الأساليب ، بل أن هناك فقط وحدة فى المنهج وتعدد فى الأساليب والتكنيكات التى يستخدمها الباحث .وما علينا فقد استخدم الباحث مجموعة من المناهج تتمثل فى المنهج المقارن . والمنهج التاريخى والمنهج الوصفى .

وهنا نعود مرة أخرى فنقول أن الباحث فعلا لم يستخدم سوى منهجاً واحداً هو المنهج العلمى Scientific Method ، أما السمة أو الاتجاه الغالب فى هذه الدراسة فهو الاتجاه المقارن Comparative Approach .

وفيما يتعلق بأدوات الدراسة وتكنيكاتها فقد استخدم الباحث عدة وسائل منها استمارة المقابلة Interviewing Schedule وجهها إلى كل من الزوج والزوجة ، بالإضافة إلى استخدامه لمقياس التريف والتحضر لقياس درجة تريف وتحضر كل من الزوج والزوجة .

وفيما يتعلق بالعمل الميدانى ، فقد انقسم إلى مرحلتين ، الأولى تميزت بقيام الباحث بمجموعة من الزيارات الاستطلاعية لمجتمع الدراسة والتى ساعدته على تكوين الأفكار الأساسية لاستمارة المقابلة ، ولقد قام الباحث فعلا بتصميم استمارة مقابلة فى صورة أولية ، واختار عينة عشوائية من الأسر فى كل من النمط الحضرى والنمط الريفى ، وطبق عليهما استمارة المقابلة ، ثم

استبعد هذه الأسر فى التطبيق النهائى لاستمارة المقابلة .

ولقد أفاده التطبيق الأولى لاستمارة المقابلة من عدة وجوه منها على سبيل المثال لا الحصر تعديل بعض الأسئلة وتحديد الاحتمالات الخاصة بالأسئلة الأخرى ، والكشف عن صلاحية اللغة التى صيغت بها أسئلة استمارة المقابلة ، ومدى تناسبها لثقافة كل من الحضر والريف .

فيما يتعلق بعينة الدراسة ، فقد تم اختيارها بطريقة عشوائية من إجمالى عدد الأسر فى كل من الحضر والريف . وفيما يتعلق بعينة الريف ، فقد تم اختيارها كما يلى :

٣٣ أسرة (الزوج والزوجة) تزوجت منذ خمس سنوات .
٩٣ أسرة (الزوج والزوجة) تزوجت من ٥ — ١٠ سنوات .
٤٤ أسرة (الزوج والزوجة) تزوجت من ١٠ — ١٥ سنة .
٣٧ أسرة (الزوج والزوجة) تزوجت من ١٥ — ٢٠ سنة .
٢٠ أسرة (الزوج والزوجة) تزوجت من ٢٠ — ٢٥ سنة .
٨ أسر (الزوج والزوجة) تزوجت من ٢٥ — ٣٠ سنة .

٢٣٥ إجمالى عدد الأسر فى منطقة قلوصنا باعتبارها ممثلة للنمط الريفى .

وقد روعى فى اختيار هذه العينة أن تمثل مستويات مختلفة من المهن والتعليم والدخل .

أما عينة الحضر فقد تم اختيار ٢٨٩ أسرة بطريقة عشوائية موزعة كالتالى :

٥٩ أسرة تمثل الأسر التى تزوجت منذ ٥ سنوات
١٠٠ أسرة تمثل الأسر التى تزوجت من ٥ — ١٠ سنة
٦٨ أسرة تمثل الأسر التى تزوجت من ١٠ — ١٥ سنة
١٥ أسرة تمثل الأسر التى تزوجت من ١٥ — ٢٠ سنة
٤٠ أسرة تمثل الأسر التى تزوجت من ٢٠ — ٢٥ سنة
٧ أسر تمثل الأسر التى تزوجت من ٢٥ — ٣٠ سنة

ولقد تم عرض نتائج الجزء الميدانى ، أو بمعنى أدق نتـــائج اختبار فروض الدراسة من الفصل السادس إلى الفصل الثامن، حيث خصص الفصل السادس لاختبار العلاقة العكسية بين الدخل والخصوبة ، وأفرد الباحث الفصل السابع لاختبار الفرض الثانى عن العلاقة بين القيم واتجاهات الخصوبة أما الفصل الثامن فقد اختبر فيه تأثير التحضر على اتجاهات الخصوبة وهو الفرض الثالث والأخير .

وفيما يتعلق بأهم النتائج التى خرج بهـــا الباحث من دراسته ، فيمكننا عرضها فى صورة قضايا على شكل علاقات أو ارتباطـــات ، وذلك على النحو التالى :

فيما يتعلق بتأثير الدخل على معدلات الخصوبة

(١) كلما ازداد حجم الأسرة أدى ذلك إلى انخفاض متوسط دخل الفرد سواء فى الحضر أو الريف .

(٢) ارتفاع متوسط نصيب الفرد من الدخل فى عينة الريف والحضر بانخفاض عدد أفراد الأسرة .

(٣) زيادة متوسط إنفاق الأسرة شهرياً فى النمط الحضرى (٤٠,٧ جنيهاً) بينما انخفض متوسط إنفاق الأسرة شهرياً فى النمط الريفى (٢٨,١ جنيهاً).

ويمكننا عموما القول بأنه كلما ازدادت معدلات الخصوبة قل متوسط دخل الأسرة ، ومتوسط دخل الفرد ، وقل متوسط إنفاق الأسرة، وانخفض تبعاً لذلك متوسط إنفاق الفرد الشهرى .

ونعيب على هذه النتائج أنها جاءت نتائج معكوسة، بمعنى أننا كنا نتوقع أن يكون الدخل هو المتغير المستقل والخصوبة هى المتغير التابع ، كما جاء فى صياغة الباحث للفرض . ولكننا للأسف وجدنا أن الصياغة شىء والنتائج شىء آخر. ومن هنا نتساءل .. هل هذا الفصل كان مخصصا لتأثير الدخل على الخصوبة أم الخصوبة على الدخل ؟ ومن هنـــا فكان على الباحث أن يعيد صياغته لهذا الفرض بحيث يتحدد فى أن هناك علاقة عكسية

بين اتجاهات (الخصوبة ومتوسط نصيب الفرد من الدخل . بمعنى أنه كلما زادت معدلات الخصوبة انخفض متوسط الدخل ، وكلما انخفضت معدلات الخصوبة ارتفع نصيب الفرد من الدخل .

فيما يتعلق بتأثير القيم على اتجاهات الخصوبة

١ ــ أن هناك ارتباطاً بين معدل الإنجاب المرتفع فى الأسرة ، وقيمة الزواج المبكر ، حيث اتضح أن أعلى معدلات الإنجاب تقع بين الأسر التى تزوجت فى سن دون العشرين ومن هنا فإن الزواج المبكر كقيمة وبخاصة فى النمط الريفى ، يؤثر على معدل الإنجاب المرتفع.

٢ ــ أن معظم أفراد مجتمع البحث فى الريف يشيرون إلى لجوئهم إلى الزواج مرة أخرى فى حالة عقم الزوجة (٦٥ ٪) بينما نجد أن نسبة من يشيرون إلى ذلك فى النمط الحضرى (٤٧ ٪) ، وهذا يوضح أهمية الإنجاب وأهمية المرأة الولود .

٣ ــ أن الاتجاه مستمر ومتزايد نحو سيادة نظام الزواج المبكر وبخاصة فى النمط الريفى ، حيث أشارت ٧٥ ٪ من المبحوثات فى ذلك النمط بأن السن الأمثل لزواج بناتهن دون سن العشرين ، بينما أجابت معظم المبحوثات فى النمط الحضرى بأن السن الأمثل لزواج بناتهن يتراوح ما بين ٢٠ ــ ٢٥ سنة ، هذا بالنسبة للبنت ، أما بالنسبة للولد فنجد أن معظم المبحوثات سواء فى النمط الريفى أو الحضرى يحددن السن الأمثل لزواج الإبن دون سن الخامسة والعشرين .

٤ ــ فيما يتعلق بتأثير تنظيم الأسرة على معدلات الخصوبة فمازال تأثيره ضعيفا وعديم الفعالية ، حيث اتضح أن معدلات الإنجاب مرتفعة فى كلا النمطين سواء الحضرى أو الريفى ، وأن تنظيم الأسرة قد جاء بعد إنجاب الإبن الرابع أو الخامس .

٥ ــ أن معدلات الإنجاب مرتفعة فى المجتمع الريفى ، ومنخفضة إلى

حد ما فى المجتمع الحضرى ، حيث أن العدد الأمثل للخلفة ٥ أبناء فأكثر فى النمط الريفى ، بينما فى النمط الحضرى ما بين ٣ — ٤ أبناء ،

٦ — تتحدد أسباب كثرة الخلفة فى أن الأولاد عزوة، وحب الأولاد، وتنظيم الأسرة حرام ، كذلك اتضح أن القيم تؤثر على ارتفاع معدلات الإنجاب وبخاصة فى النمط الريفى ، حيث نجد أنهم يؤمنون ، بالمعتقدات الريفية ، والإتكالية ، وعدم التخطيط لأمور حياتهم ، ويتضح ذلك من إجماع أكثر من ٨٠٪ من أفراد العينة على موافقتهم على المثل اللى بيقول «اللى خلق الأشداق متكفل بالأرزاق» ، وهذه القيم واضحة فى النمط الريفى أكثر من اتضاحها فى النمط الحضرى .

فيما يتعلق بالارتباط بين التحضر واتجاهات الخصوبة

١ — أن النشأة الريفية تؤثر على اتجاهات الخصوبة بالزيادة لا بالنقصان،

٢ — إن معظم المتزوجين فى عينة النمط الريفى قد أختاروا زوجاتهم من نفس النمط أو من نفس القرية التى يعيشون فيها ، بينما نجد على العكس من ذلك فى النمط الحضرى حيث أختاروا زوجاتهم من مناطق مختلفة عن تلك التى ولدوا وعاشوا فيها .

٣ — إن أفراد مجتمع البحث فى النمط الحضرى أكثر تقبلا للأفكار الجديدة وبخاصة الأفكار المرتبطة بقضايا تنظيم الأسرة .

٤ — إن ارتفاع معدلات الإنجاب تؤثر تأثيراً عكسيا على درجة التعليم .

٥ — فيما يتعلق بتطبيق المقياس اتضح أن ٥٤٪ من مبحوثات العينة الريفية قد أنجبن ٥ أبناء فأكثر ، فى حين نجد أن ٦٧٪ من جملة مبحوثات العينة الحضرية قد أنجبن من طفل إلى طفلين .

ولقد خصص الباحث الفصل التاسع والأخير من فصول الدراسة لمناقشة لنتائج الدراسة ، والإسهامات التى خرجت بها .

ولعل أهم الإسهامات التى خرجت بها الدراسة هى أنه يجب عدم تجزىء الظاهرة موضوع الدراسة ، بل يجب النظر إليها نظرة شمولية ، كذلك يجب إعداد خريطة للحضر والتحضر على أساس القيم والعادات والاتجاهات السائدة فى مصر وعلى أساس الخصائص السكانية ، وذلك باعتبار أن التحضر والتريف عملية عقلانية فى المقام الأول وليست عملية مكانية .

- التركيز عن سد الفجوة بين العقلية الفردية والعقلية الجماعية ، أو بمعنى أدق محاولة تقريب الهوة بين الدولة والأفراد لأن عمليـــة تنظيم الأسرة تعتبرها الدولة مشكلة ، قد لاتعتبر كذلك عند غالبية الأفراد وبخاصة فى النمط الريفى .

- ضرورة تكوين بنك للمعلومات عن البيانات الديموجرافية ، والخصائص السكانية ، ومعدلات الإنجاب ، والزواج والطلاق والوفيات مصنفة حسب التعدادات المختلفة .

تلك هى الدراسة عرضناها وحللنا كل خطواتها بطريقة منهجية ولا نأخذ على هذه النتائج سوى أمرين يتمثل الأول فى أن المتغيرات المؤثرة والمتأثرة لم تكن واضحة بصورة دقيقة فى ذهن الباحث وأعتقد أن ذلك راجع إلى الاستعجال والضغوط الواقعة عليه من المجتمع الذى كان يطلب منه دائماً الانتهاء من الرسالة بأسرع وقت ممكن .

أما الأمر الثانى فيمكن أن ينطبق على كثير من الدراسات وليس هذه الدراسة بالذات ، ويتمثل ذلك فى أن معظم الباحثين يحاولون وضع إطار نظرى مطول ومتعدد ؛ ثم نفاجأ بعد ذلك بأنهم لم يستخدموا هذا الإطار فى الجزء الميدانى ، ولاحتى عند مناقشة النتائج ، وهذا يدعونا إلى التساؤل ما أهمية وضع فصل فى الرسالة عن قياس الخصوبة ، ثم نجد أن الباحث فى دراسته الميدانية لم يستخدم أى من المقاييس التى جاء ذكرها فى

هذا الفصل ؟ كذلك خصص الباحث الفصل الثانى من فصول دراسته النظرية (٤١ صفحة) لعرض نظريات السكان سواء النظريات التى جاءت قبل مالتس أو التى جاءت بعده ونسأله أى نسأل الباحث سؤالين . ٥ ماقيمة هذا العرض المجهد ؟ وما موقع هذه النظريا عند مناقشة نتائج الدراسة ؟ ٥